مظاهر الحياة العلمية وإسهامات علماء ما وراء النهر في عصر الدولة السامانية (389-261هـ)

SOMONIYLAR DAVLATIDA ILMIY HAYOT JABHALARI VA MOVAROUNNAHR OLIMLARINING ILM-FANGA QO‘SHGAN HISSASI

ASPECTS OF SCIENTIFIC LIFE IN THE STATE OF SAMANIDNS AND THE CONTRIBUTION OF THE SCHOLARS OF MAWARANNAHR TO THE SCIENCE

Ahmad SAAD AL-DAMANHURI,
Doctor of Al-Azhar University,
Chief Researcher of the Imam Maturidi International Scientific Research Center
A.Kadiri str. 11, 100011, Tashkent, Uzbekistan
E-mail: rabbanya@gmail.com

DOI: 10.47980/IIAU/2022/4/1

ملخص البحث: يستعرض هذا البحث بعض مظاهر الحياة العلمية في عصر مهم من عصور بلاد ما وراء النهر، والذي ما زال أثره باقيا حتى يومنا هذا، إنه عصر الدولة السامانية التي شهدت تطورا علميا ملحوظا، فبدأ البحث بالتعريف بأصل هذه الدولة ومكانتها، وعلاقتها بدولة الخلافة العباسية، ثم تناول البحث عددا من الجوانب التي تعكس الحياة العلمية، فبدأ البحث بتمهيد حول الدولة السامانية وأمرائها، ثم ناقش **أولا** بكيفية دخول الإسلام بلاد ما وراء النهر، نظرا لكون هذه المكانة التي قد نالتها هذه البلاد كانت بسبب الإسلام بالأساس ونظرا لكون الصحابة والتابعين الأوائل هم المعلمون الأوائل لأهل هذه البلاد، ثم تناول البحث **ثانيا** أهم مراكز العلم والعلماء والتي كانت محط أنظار العلماء وطلاب العلم، ثم تناول **ثالثا** الحركة العلمية في بلاد ما وراء النهر، وشيئا من نشاط الفقهاء والمحدثين والمتكلمين في هذه الفترة، ثم تحدث **رابعا** عن مكانة العلماء وتقدير الأمراء السامانيين للعلم مما انعكس بالإيجاب على الحياة العلمية، ثم تناول **خامسا**: المذاهب والأديان المتفاعلة في تلك الفترة، والتي لتنوعها حدث نشاط علمي، مما أثر في طبيعة الإنتاج العلمي في هذه الفترة، ثم تناول **سادسا** مظهرا مهما يتعلق بشيوع النزعة الفارسية مما كان له أثره كذلك، حيث زاحمت العربية التي كانت لغة العلم والأدب في تلك المرحلة، ثم تناول **سابعا** مظهرا علميا شعبيا يتعلق بالمشاهد والمزارات التي اعتنى بها الصوفية مما كان له أثره كذلك في الحياة العلمية.

الكلمات المفتاحية: ما وراء النهر- السامانيون- الحضارة الإسلامية- الفتح الإسلامي- الإمام الماتريدي- الإمام البخاري- الإمام الترمذي- المذهب الحنفي- أهل السنة- الصوفية- المعتزلة- قثم بن العباس- بخارى- سمرقند.

Annotatsiya: Ushbu maqolada Movarounnahr tarixining muhim davrlaridan biridagi ilmiy hayotning ba’zi muhim jihatlari tadqiq etilgan. O‘rganilgan davr yuksak ilmiy taraqqiyotga erishgan Somoniylar davridir. Maqola Somoniylar davlatining kelib chiqishi va uning tarixdagi o‘rnini yoritish bilan boshlangan. So‘ngra mazkur davrdagi ilmiy hayotni o‘zida aks ettiruvchi bir qator jihatlar qamrab olingan. Avvalo, somoniylar davlati va somoniy amirlar haqida so‘z yuritilgan. Islomning Movarounnahr diyoriga kirib kelish jarayoni tahlil qilingan. Bunda islom tufayli mazkur o‘lka yuksak mavqega erishgani, mahalliy aholiga islomni ta’lim bergan ilk muallimlar, sahoba va tobeinlar bo‘lganiga e’tibor qaratilgan. So‘ngra tolibi ilmlar uchun ilm bekati vazifasini o‘tagan muhim ilmiy markazlar va olimlar haqida so‘z yuritilgan. Mazkur davrda Movarounnahrdagi ilmiy muhit, faqih, muhaddis va mutakallim olmilar faoliyatiga to‘xtab o‘tilgan. So‘ngra olimlarning mavqeyi va somoniy amirlarning ilm-fanga homiylik qilganlari va buning ilmiy muhitga ijobiy ta’sir ko’rsatgani ochib berilgan. O’sha davrda faol bo‘lgan din va mazhablar, ularning xilma-xilligi natijasida ro‘y bergan ilmiy faollik ko‘rib chiqilgan. Mazkur davrda ilm-fan va adabiyot tili bo‘lgan arab tili bilan raqobatlasha boshlagan fors tili va madaniyatining keng tarqalishi bilan bog’liq muhim jihatlar tahlil qilingan. So‘ngra, ilmiy hayotga o‘z ta’sirini o‘tkazgan yana bir jihat, ya’ni tasavvufda muhim sanalgan maqbara va ziyoratgohlar bilan bog‘liq omma orasidagi rivoyatlar va qarashlar yoritilgan.

Kalit so’zlar: Movarounnahr, Somoniylar, islom tamadduni, islom fathi, Imom Moturidiy, Imom Buxoriy, Imom Termiziy, hanafiylik mazhabi, ahli sunna, so’fiylik, mo’tazila, Qusam ibn Abbos, Buxoro, Samarqand.

Abstract: This paper examines some significant aspects of scientific life during one of the important periods in the history of Mawarannahr. The studied period is the era of the Samanids, which witnessed high scientific progress. The article begins with an explanation of the origin of the Samanid state and its place in the history. Then several aspects that reflect the scientific life of this period are covered. First of all, information about the Samanid state and the Samanid emirs are introduced. The process of the introduction of Islam to Mawarannahr was discussed. It was emphasized that this country achieved a high position thanks to Islam and that the first teachers who taught Islam to the local people were companions and followers. Then the important scientific centers and scholars who served as a source of science for students are mentioned in the article. The scientific environment in Mawarannahr, and the activities of the faqih, hadith collectors, and mutakallim scholars of this period were analyzed. Then the position of scholars and the patronage of science by the Samanid emirs and its positive impact on the scientific environment were revealed. The religions and madhabs that were active at

that time, as well as the scientific activity that occurred as a result of their diversity, were considered. Important aspects related to the spread of the Persian language and culture, which began to compete with the Arabic language, the language of science and literature of that time, were analyzed. Then, another aspect that had an impact on scientific life, that is, folk views related to shrines and holy sites, which are considered important in Sufism, is highlighted.

Keywords: Mawarannahr, Samanids, Islamic civilization, Islamic opening, Imam Maturidi, Imam Bukhari, Imam Tirmidhi, Hanafi madhab, People of Sunnah, Sufism, Mu'tazila, Qutham ibn Abbas, Bukhara, Samarkand.

تمهيد:

الدولة السامانية (261-389 هـ) تنسب إلى أسرة فارسية عريقة، وقد نال السامانيون حظوة كبيرة عند الخليفة المأمون (198-218هـ) فولاهم بلاد ما وراء النهر ورفع شأنهم، فكانوا أحسن عون على تثبيت حكم الخليفة العباسي على تلك النواحي في هذه الفترة، وقد ارتد سامان عن مذهب زرادشت واعتنق الإسلام وسَمَّى ابنه باسم أسد بن عبد الله القسري والى خراسان فى أواخر عهد الأمويين، ولا علم لنا بحياة أسد هذا ولكن أبناءه وهم: نوح وأحمد ويحيى وإلياس قد اشتركوا فى إخماد ثورة رافع بن الليث الصفار، وكانوا قد دخلوا فى خدمة المأمون قبل الطاهريين؛ ولوحظ وجود عدد منهم فى بلاط الخلفاء ببغداد ولكنهم لم يرقوا إلى أكثر من حكم بلاد ما وراء النهر، فولى نوح ابن أسد: سمرقند سنة 204ه، وأحمد بن أسد: فرغانة، ويحيي بن أسد: الشاش وأشروسنة، وإلياس بن أسد: هراة، ولما ولى طاهر بن الحسين خراسان أقرهم فى هذه الأعمال (Hasan Ibrohim Hasan, 1992). قامت هذه الدولة فى إقليم ما وراء النهر ثم امتدت إلى إيران وخراسان وطبرستان والرى والجبل وسجستان وحاولت إحياء اللغة والثقافة الفارسية، وبصفة عامة: فقد «تمتع أمراء السامانيين باستقلالية عن الخليفة كما يشير معظم المؤرخين وإن كانوا يلجأون إليه أحيانا لفض النزاع، كما أطلق عليهم المؤرخون من الفرس أحيانا لقب أمير المؤمنين» فلم يكن استقلالهم ذاك الاستقلال الذى يخرج عن الخلافة، بل كانوا «الأداة الطيعة المنفذة لأوامر خلفاء بنى العباس»، مما أعطاهم حرية فى الحركة تشبه الاستقلال فى القرار والحكم نتيجة الثقة من جانب الخلفاء فيهم، وقد اتجهوا نحو التوسع الخارجي متجنبين الدخول فى نزاعات داخلية؛ فكان لهم دور كبير فى نشر الإسلام فى بلاد التركستان بين الوثنيين. وسنتناول في الفقرات الآتية بعض مظاهر الحياة العلمية.

أولا: الإسلام فى بلاد ما وراء النهر:

بالرغم من وجود محاولات عدة لفتح بلاد ما وراء النهر (Shukri Faysal, 1974) فإن قتيبة بن مسلم الباهلي -الذي ولاه الحجاج سنة 86هـ خراسان وبلاد المشرق وظل واليا عليها حتى عام 99هـ- «كان أول من ثبت دعائم السيطرة العربية على بلاد ما وراء النهر»، حيث «كان أبرز ما فى فتوح قتيبة: فتح بخارى وسمرقند وتثبيت الإسلام فيها واتجاهه إلى ما يقارب حدود الصين». و«كان أول مسجد بالمدينة (سمرقند) هو الذى شيده قتيبة بن مسلم عام 94هـ/713م بالقلعة وذلك فى الموقع الذى كان يقوم عليه فى الأزمنة السابقة بيت للأصنام. وشيد فيما بعد مسجدا جامعا جديدا بين القلعة والشرستان بناه الحاكم الفضل بن يحيى البرمكي وتم توسيعه بصورة ملحوظة فى عام 290هـ/902م على يد إسماعيل السامانى الذى اشترى الدور المجاورة لهذا الغرض». وذكر صاحب (القَند) فى ترجمة: أبو العالية رفيع بن مهران الرياحي البصري أنه: «أول من أذن وراء جيحون، عَبَر مع سعيد بن عثمان بن عفان، وهو أول من عبر... وقال سعيد بن جناح البخاري فى كتاب القبلة: ثم اعتبروا بأهل سمرقند ومن نزل فيها، نزل بها: قثم بن عباس[1]، وسعيد بن عثمان بن عفان[2]، ومن التابعين: محمد بن واسع[3]، وبرد مولى أنس بن مالك[4]، وخليد بن حسان[5]، وأبو العالية وغيرهم». وفى ترجمة زياد بن مهران الأزدي[6]، قال: «قدم قتيبة بن مسلم سمرقند ومعه من العلماء محمد بن واسع، وزياد بن مهران، وليث بن أبي سليم[7]، وخليد بن حسان، وعبيدة العمي[8]، وباتفاقهم نصبت بها المحاريب». فهؤلاء هم أسلاف ومعلموا أهل سمرقند الأوائل. ويشير كُتَّاب التاريخ بيد الفضل إلى أشرس بن عبد الله السلمي والذى كان «فاضلا خيرا وكان سُمى الكامل لذلك، وكان أول من اتخذ المرابطة بخراسان.. وتولى هو الأمور بنفسه كبيرها وصغيرها» (Adbul Rahman al-Ladiqi, 2008) ، وقد «دعا أشرس بن عبد الله السلمى نائب خراسان أهل الذمة بسمرقند ومن وراء النهر إلى الدخول في الإسلام ويضع عنهم الجزية، فأجابوه إلى ذلك وأسلم غالبهم»، أما بارتولد فيقول: «وقد انبعثت لدى الأشرس فكرة تنفيذ مشروع يرمي الى إدخال جميع سكان بلاد ما وراء النهر في الإسلام؛ فأرسل لهذا الغرض باثنين من الدعاة إلى سمرقند أحدهما عربي والآخر فارسي ووعد برفع الجزية عمن أسلم، وقد فاق نجاح الدعوة كل حد».

ثانيا: مراكز العلم والعلماء في الدولة السامانية:

كانت بخارى وسمرقند مراكز العلم فى الدولة السامانية؛ أما بخارى فإنها تعد أهم مدن الدولة السامانية من حيث الاكتظاظ بالسكان والعمران، ويجمل الثعالبي وصف بخارى فيقول: «هى بمثابة المجد وكعبة الملك

---

[1] قال ابن سعد: «قثم بن العباس، ابن عبد المبحث بن هاشم بن عبد مناف بن قصي. وأمه أم الفضل لبابة الكبرى بنت الحارث بن حزن بن بجير بن الهزم بن رؤيبة بن عبد الله بن هلال بن عامر. وليس له عقب. وكان رسول الله ص يحبه وكان يشبه به»،أ.هـ. ويذكر ابن حبان أنه: «خرج مع سعيد بن عثمان بن عفان في آخر امارة معاوية بن أبى سفيان إلى خراسان ثم خرج منها فعبر النهر وفتح ما وراء النهر واستشهد في تلك الناحية فمنهم من زعم أن قبره بسمرقند ومنهم من زعم أن قبره بمرو»،أ.هـ. | ينظر: الجزء المتمم لطبقات ابن سعد(ت: ٢٣٠هـ)، ٢١٨/١، ت: محمد السلمي، مكتبة الصديق – الطائف، ط١، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م. وينظر: مشاهير علماء الأمصار، محمد بن حبان، الدارمي، البُستي (ت: ٣٥٤هـ)، ص٢٨، ت: مرزوق على ابراهيم، دار الوفاء– المنصورة، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

[2] ()قال ابن سعد: « سعيد بن عثمان بن عفان بْن أبي العاص بْن أُمَيَّةُ. وأمه فاطمة بنت الْوَلِيد بْن عَبْد شمس بْن المغيرة بْن عبد الله بن عمر بن مخروم. وأمها أسماء بنت أبي جهل بن هشام بن المغيرة. وأمها أروى بنت أبي العيص بن أمية بن عبد شمس. وأمها رقية بنت الحارث بن عبيد بن عمر بن مخزوم. وأمها رقية بِنْتُ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى بْن قُصَيّ. وأمها خالدة بنت هاشم بن عبد مناف بن قصي. فولد سعيد بن عثمان محمدا وأمه رملة بِنْت أبي سُفْيَان بْن حرب بْن أمية. وكان قليل الحديث». | ينظر: الطبقات الكبرى، ابن سعد (ت: ٢٣٠هـ)، ١١٧/٥، ت: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

[3] ()«محمد بن واسع الأزدي (ت: ١٢٣هـ): فقيه ورع، من الزهاد.بصري. عرض عليه قضاؤها، فأبى. وهو من ثقات أهل الحديث» | ينظر: الأعلام، للزركلي: ١٣٣/٧.

[4] () قال الحافظ ابن حجر: « برد بن سنان البصري ثم السمرقندي مولى أنس روى عن أنس .. ذكره أبو سعد الإدريسي في تاريخ سمرقند وقال خلطه بعض المحدثين ببرد بن سنان الشامي، وعندي أن ذلك غلط؛ فإني لم أر لبرد بن سنان الشامي أثرا في دخوله سمرقند ولا أنه مولى أنس»،أ.هـ. | ينظر: لسان الميزان، ابن حجر العسقلاني، ٦/٢، مؤسسة الأعلمي– بيروت، ط٣، ٦٠٤١ – ٦٨٩١ تحقيق: دائرة المعرف النظامية – الهند.

[5] () قال ابن حبان (مشاهير علماء الأمصار، ص٣١٢): «خليد بن حسان الهجري العصري من أهل البصرة من أصحاب الحسن، كنيته أبو حسان سكن بخارا وبها حدث»،أ.هـ. وذكره ابن حبان في الثقات بنحوه. | ينظر: الثقات، محمد بن حبان، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت: ٣٥٤هـ)، ٢٧١/٦، طبع وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية، إشراف محمد عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف العثمانية، الناشر: دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الهند، ط١، ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣.

[6] () لم أعثر له على ترجمته، لكن ذكر صاحب (القند، ص٦٥) أنه «راوية أنس بن مالك، عده سعيد بن جناح البخاري من جملة من دخل سمرقند»،أ.هـ.

[7] () هو« أبو بكر القرشي مولاهم الكوفي عن مجاهد وطبقته لا نعلمه لقي صحابيا وعنه شعبة وزائدة وجرير فيه ضعف يسير من سوء حفظه كان ذا صلاة وصيام وعلم كثير وبعضهم احتج به مات سنة ١٣٨هـ». | ينظر: الكاشف فيمن له رواية في الكتب الستة، شمس الدين الذهبي (ت٧٤٨ه)، تحقيق: محمد عوامة، وأحمد الخطيب، ١٥١/٢، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة. ط١، ١٩٩٢.

[8] () هو: «عبيدة بن بلال شيخ بصري قدم بخارى واستوطنها ومات بها سنة ستين ومائة»،أ.هـ. | ينظر: تهذيب الكمال (٧٥/٧)

الإمام محمد بن إسماعيل البخاري (ت: 256هـ) وقرر أن ينحو في التأليف منحى جديدًا، وذلك بأن يقتصر على الحديث الصحيح فقط دون ما عداه، فألف كتابه: الجامع الصحيح، وتبعه في طريقته معاصره وتلميذه الإمام مسلم (ت: 261هـ) فألف صحيحه المشهور. أما كتب السنن: فقد جاء تأليف هذه الكتب في سياق تأليف كتب الصحاح وإن كانت قواعد أصحاب السنن الأربعة المشهورة[10] في هذا الحكم لم تبلغ ما التزمه الإمام البخاري. أما القرن الرابع الهجري الذي يمثل عصر النهضة في الإسلام فإنه لم يشهد تطورًا أو ارتقاءً ذا بال، وكان صنيع رجالات القرن «جمع ما جمعه من سبقهم. والاعتماد على نقدهم، والإكثار من طرق الحديث» حتى إن الحافظ الذهبي (ت: 748هـ) في مقدمة كتابه (ميزان الاعتدال) عد رأس سنة ثلاثمائة من الهجرة الحد الفاصل بين المتقدمين والمتأخرين من رواة الحديث والمشتغلين به. كما «نشأ فى القرن الرابع رسم جديد وهو الذي يجيز للإنسان رواية الحديث من غير لقاء رجاله.. فحلت الكتب محل الأسفار.. فقد استطاع ابن يونس الصفدي (ت: 347هـ) أن يكون إماما متيقظا فى الحديث وإن كان لم يرحل ولا سمع بغير مصر.. ويقول أبوحاتم السمرقندي (ت: 354هـ): لعلنا كتبنا عن ألف شيخ ما بين الشاش والإسكندرية».

وفي ظل هذا النشاط الحديثي وجدنا أن بلاد ما وراء النهر قد ساهمت بحظ وافر في هذه النهضة العلمية، حيث نجد أن ثلاثة من أصحاب المجاميع الحديثية الكبرى فى الإسلام نشأوا وماتوا فى بلاد ما وراء النهر، مثل: الإمام البخاري المولود فى بخارى سنة 194هـ والمتوفى فى خرتنك (قرية من قرى سمرقند) سنة 256هـ، يقول ابن كثير: «ولما حدثت الوحشة بينه وبين السلطان خالد بن أحد الذهلي نائب الطاهرية ببخارى، نزح إلى خرتنك على فرسخين من سمرقند ومات هناك» (Adbul Rahman al-Ladiqi, 2008) ، وكان يلومه الإمام أحمد على إقامته بخراسان ويحثه على المقام ببغداد كما يذكر ابن كثير، وقال أيضا عنه: «ودخل مرة إلى سمرقند، فاجتمع بأربعمائة من علماء الحديث بها، فركبوا أسانيد وأدخلوا إسناد الشام فى إسناد العراق وخلطوا الرجال فى الأسانيد وجعلوا متون الأحاديث على غير أسانيدها، ثم قرؤوا على البخاري فرد كل حديث إلى إسناده، وقوَّم تلك الأحاديث والأسانيد كلها وما تعنتوا عليه فيها، ولم يقدروا أن يعلقوا عليه سقطة فى إسناد ولا متن، وكذلك صنع فى بغداد»، وهذا يدل على تمكن أهل تلك النواحى من الحديث وتغلب السنة على هذه البلاد كما يقول العلامة الكوثري. وجاء فى القند فى ترجمة خلف بن شاهد بن الحسن بن هاشم النسفي أنه: «روى عن البخاري الجامع وسمع منه أهل سمرقند الجامع.. مات فى رجب سنة ثمان وثلاثمائة» (Najmuddin Umar Nasafi, 1991). ومنهم: الإمام الترمذي المولود فى ترمذ سنة 209هـ والمتوفى بها سنة 279 هـ، وترمذ تقع فى أوزباكستان الحالية وهى على ضفة نهر جيحون قريبة من سمرقند. ومنهم: الإمام الدارمي، المولود فى سمرقند سنة 181هـ والمتوفى فيها سنة 255هـ.

<u>أما علم الفقه</u>؛ فقد ظهرت في الفقه الإسلامي مدرستان علميتان كبيرتان هما مدرسة أهل الرأي في العراق ، ومدرسة أهل الحديث في المدينة المنورة. وكان أئمة الفقه الأربعة: أبو حنيفة (ت: 150هـ)، ومالك (ت: 179هـ)، والشافعي (ت: 204هـ)، وابن حنبل (ت: 241هـ) قد أسسوا مذاهبهم وأصبح لهم تلاميذ يحملون علومهم، وكان العصر لا زال عصر اجتهاد ولم يبدأ عصر التقليد بعد (Abdulloh Maroghi, 1974)؛ فظهر عدد من المجتهدين الذين لم يكتب لمذاهبهم البقاء من أمثال: أبي ثور (ت: 240هـ) والأوزاعي (ت: 157هـ) وداوود الظاهري ومجمع أفراد الزمان ومطلع نجوم أدباء الأرض وموسم فضلاء الدهر» ؛ لذلك لم يُر مدينة أهلها أشد احتراما لأهل العلم من بخارى. وتمثلت الحركة العلمية في بخارى في زمن السامانيين فى وجود عدد من المؤسسات العلمية، أبرزها: الكتاتيب التى يتعلم فيها الصبي القرآن ومبادئ القراءة وشيء من النحو والأدب، ومن مشاهير علمائها الذين كانوا يدرسون فى الكتاتيب: أبومنصور الثعالبي صاحب (يتيمة الدهر)، كما اشتهرت بخارى بكثرة مساجدها والتى كانت مراكز علمية، كما كانت دور أهل العلم ملتقى للمناظرات والتى كان ربما يعقدها الأمير فى بيته، كما حكي عن الأمير إسماعيل بن أحمد الذي كان يقرب العلماء ويستمع إلي مناظراتهم، ومن ذلك ما ورد عن المجلس الذى عقده فى قصره ليناظر فيه الفقهاء والقضاة مع دعاة الإسماعيلية، كما كان من عادة الأمراء السامانيين أن كانت لهم مجالس علم تعقد عشيات جمع شهر رمضان للمناظرة، كما كان في بخارى مكتبات فيها الكثير من صنوف العلم، أشهرها: مكتبة الأمير نوح بن نصر الساماني، كانت تضم نوادر الكتب، وكان عليها قيمون يهتمون بها، ولها فهرس ينظم الاستفادة من محتوياتها، كما اهتم أمراء السامانيين باقامة الرباطات وحبس الأوقاف الكثيرة عليها (Abdul Aziz Ali Saad, 2011).

وأما سمرقند فقد شهدت حركة علمية مهمة أيضا وقد اشتركت مع بخارى فى وجود الكتاتيب والرباطات والمكتبات، ومما يدل على كونها كانت قبلة للمتعلمين كبخارى ما ذكره السمعاني في (الأنساب)، أن «أحمد بن حامد الخَرْعُوني، سمع مع أخيه محمد كتاب التفسير لأبي الحسين علي بن إسحاق بن إبراهيم الحنظلي السمرقندي، وكان أبو عبد الله محمد يقول سمعت الكتاب - يعني التفسير - والمشافهات مع أخي أحمد بن حامد بن علي بن إسحاق سنة مائتين وثلاث وثلاثين، وأربع وثلاثين، وخمس وثلاثين، فارتفع لنا في ثلاث سنين، وتوفي علي بن إسحاق سنة مائتين وسبع وثلاثين، وجهنا والدنا إلى سمرقند والوالدة معنا، كانت تغزل الصوف وتنفق علينا».

ثالثا: الحركة العلمية فى بلاد ما وراء النهر:

بالرغم من التمزق السياسي الذي عاشته الدولة الإسلامية العباسية، فقد ازدهر العلم والأدب فى تلك الولايات المستقلة أو المنتسبة إليها اسميا «حيث قامت فى جميع أرجاء العالم الإسلامي أسرًا حاكمة استقلت بمناطقها ودخل بعضها مع البعض الآخر فى حروب طاحنة، ونظرًا لأن كل أمير قد جهد فى أن يجعل من عاصمته مركزا للثقافة والحضارة فقد اجتذبوا إليهم الشعراء والأدباء وأهل العلم، حتى إنه ليمكن القول إن انحلال الإمبراطورية الإسلامية قد أعان على ازدهار العلوم والآداب إن لم يكن من حيث الكيف فلا أقل من حيث الكم» (Vasily Barthold, 1974).

ولم تتخلف منطقة ما وراء النهر عن هذه الحالة فقد ظهر فيها عددا من أبرز علماء الأمة، وكانت تآليفهم فى الفنون المختلفة ثمرة هذا النشاط العلمي وتشجيع الحكام، نذكر منهم:

<u>فى علم الحديث</u>: فمع بداية القرن الثاني الهجري انتقل هذا العلم من الرواية الشفوية إلى التدوين بأمر من عمر بن عبد العزيز، ثم شاع التدوين في كل أنحاء العالم الإسلامي، وتم ذلك على يد أبناء الجيل التالي لجيل الإمام الزهري (ت: 124هـ)، بدءًا بابن جريج (ت: 150هـ) الذي كان أول من دوّن الحديث بمكة. أما القرن الثالث «فكان أزهى عصور السنة وأسعدها بأئمة الحديث وتآليفهم العظيمة الخالدة» على حد قول الدكتور السباعي رحمه الله. وقد توزعت هذه التآليف بين المسانيد والصحاح والسنن، والكتب التي تناولت قواعد الحديث ومصطلحاته وعلله وأحكامه ورجاله والجرح والتعديل، بالإضافة إلى بعض الكتب التي دافعت عن السنة في وجه المنتقدين والمشككين[9]. وأما كتب الصحاح: فقد ظهر

الإمام أحمد بن حنبل (ت: ٢٤١هـ) ومسند عبد بن حميد (ت: ٢٤٩هـ) والمسند الكبير لبقي بن مَخلَد الأندلسي (ت: ٢٧٦هـ). ومسند محمد بن نصر المروزي (ت: ٢٩٤هـ).

[10] () هذه السنن هي: سنن النسائي (٢١٥- ٣٠٣هـ) وصاحبها هو الإمام الفقيه الشافعي أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي، وسنن أبي دواد (٢٠٢- ٢٧٥هـ) للإمام سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأسدي السجستاني، المعروف بأبي داود. وسنن الترمذي (٢٠٩- ٢٧٩هـ) أو الجامع الكبير، للإمام الحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى بن سَورة الترمذي. وسنن ابن ماجه (٢٠٩- ٢٧٣هـ) وهو الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني.

[9] () ويأتي في مقدمة هذه الكتب الأخيرة كتاب (تأويل مختلف الحديث) لابن قتيبة (ت: ٢٧٦هـ). ما كتب المسانيد: فقد ابتدأ التأليف في هذا القرن بالمسانيد، وهي الكتب التي يجمع فيها المؤلف ما يروى عن الصحابي في باب واحد. وأهم هذه المسانيد: مسند عبد الله بن موسى (ت: ٢١٣هـ) وهو أول من ألف بهذه الطريقة. ومسند مسدد البصري (ت: ٢٢٨هـ) ومسند إسحاق بن راهويه (ت: ٢٣٧هـ) ومسند عثمان بن أبي شيبة (ت: ٢٣٩هـ) ومسند

الكعبي الذي خصه بمؤلفات ترد عليه، مما يدل على شدة الجدل الكلامي في هذه المنطقة التي تغلب فيها مذهب أهل السنة على غيره من المذاهب بعد صراع طويل مرير مع كافة المذاهب التي كان لها حضور كما نعلمه من مطالعة تفسير الماتريدي: «تأويلات أهل السنة».

وأما التفسير وعلوم القرآن؛ فإن مصطلح علوم القرآن فى تلك الفترة كان يعنى: التفسير وما يشتمل عليه من علوم مختلفة، فلم يكن يعنى ذلك المعنى الاصطلاحى الذى يعنى «طوائف المعارف المتصلة بالقرآن الكريم سواء أكانت تصورات أم تصديقات» على حد قول العلامة الزرقانى، ويبدو أن أول ما أُلف من علوم القرآن أو تفسيره كان تفسير المشكل من آياته وسوره فكان أول اهتمامهم بعلم إعراب القرآن؛ لأن الإعراب هو المفصح عن المعنى؛ لذا فإن «هناك روايات كثيرة تقول بأن أبا الأسود الدُّؤلى (ت69هـ) أو تلميذه نصر بن عاصم (ت89هـ) قد قام بوضع أول علامات تدل على الحركات والتنوين بتكليف من زياد بن أبيه (ت53ه) مما جعل بعض الصحابة والتابعين يعترضون كعبد الله بن عمر (ت: 73ه) وقتادة (ت: 118هـ) والنخعي (ت: 96هـ) ومحمد بن سيرين (ت: 110هـ)» (Fuad Suzgin, 1991).

واستمر هذا العلم فى النمو شيئا فشيئا حتى جاء سيبويه (ت180هـ) وهو من أتباع التابعين فألف (الكتاب) الذى ملأه بالشواهد القرآنية كما ظهرت بعد ذلك كتب (معاني القرآن) فألف فيها كل من: الفراء (ت207ه) والأخفش (215هـ) والزجاج (311هـ) والنحاس (ت328هـ) فالفراء مثلا ينص على أن كتابه فى «تفسير مشكل إعراب القرآن ومعانيه» (Abu Zakariya Yahya bin Ziyad al-Farro, 1983) كما حفل العصر بعدد كبير من تفاسير أهل السنة وغيرهم.

ونخص بالذكر هنا النشاط التفسير في سمرقند، ويبدو لنا أنها شهدت نشاطا تفسيريا؛ فقد ذكر السمعاني فى الأنساب: «الخَرْعُوني.. نسبة إلى خرعون، وهي قرية من قرى سمرقند من ناحية أبغر، ومن هذه القرية الأخوان أبو عبد الله محمد بن حامد بن حميد الخرعوني، ومات سنة إحدى وثلاثمائة.. وأخوه أحمد بن حامد الخرعوني، سمع مع أخيه محمد كتاب التفسير لأبي الحسين علي بن إسحاق بن إبراهيم الحنظلي السمرقندي، وكان أبو عبد الله محمد يقول سمعت الكتاب -يعني التفسير- والمشافهات مع أخي أحمد بن حامد بن علي بن إسحاق سنة مائتين وثلاث وثلاثين، وأربع وثلاثين، وخمس وثلاثين، فارتفع لنا في ثلاث سنين، وتوفي علي بن إسحاق سنة مائتين وسبع وثلاثين، وجهنا والدنا إلى سمرقند والوالدة معنا، كانت تغزل الصوف وتنفق علينا». ومن أشهر المفسرين في تلك الحقبة الإمام الماتريدي صاحب التأويلات، وهو تفسير حافل كبير، ويعد الماتريدي مؤسس علم التفسير بالدراية، كما وجدنا في تلك الحقبة: أبوبكر القفال الشاشي الشافعي (ت: 260هـ)، وهو: «محمد بن علي بن إسماعيل الإمام أبو بكر الشاشي الفقيه الشافعي المعروف بالقفال الكبير كان إمام عصره بما وراء النهر فقيها محدثا مفسرا أصوليا لغويا شاعرا، لم يكن للشافعية بما وراء النهر مثله في وقته... صنف في التفسير والأصول والفقه... وقال النووي: القفال هذا هو الكبير يتكرر ذكره في التفسير والحديث والأصول والكلام، بخلاف القفال الصغير المروزي فإنه يتكرر في الفقه خاصة»، وهؤلاء من مفسري أهل السنة، أما المعتزلة فمن مفسريهم ببلاد ما وراء النهر: أبو زيد البلخي (ت: 322هـ) «تتلمذ للكندي ببغداد وأخذ عنه الفلسفة والتنجيم والطب وعلوم الطبيعة. كان يتنزه عما يقال فى القرآن من تأويل بعيد ولا يقول الا بالظاهر المستفيض من التفسير والتأويل وقد بين ذلك فى كتابه المسمى (نظم القرآن) ثم صنف كتابا فى (البحث عن التأويلات) أغضب فيه رجلا قرمطيا فقطع هذا القرمطي عن البلخي صلات كان يجريها عليه». ومنهم: أبوالقاسم البلخي الكعبي (ت: 270هـ) ومحمد بن جرير الطبري (ت: 310هـ) ؛ «لأن تلاميذهم لم يقوموا بتدوينها». وأشهر فقهاء هذا العصر: فى المذهب الحنفي: أبو بكر أحمد بن عمر الشيباني الخصاف (ت: 261هـ) وإمامي أهل السنة: الإمام الماتريدي السمرقندي (ت: 333هـ)، والإمام الطحاوي المصري (ت:321هـ) الذى انتهت إليه رياسة أصحاب أبي حنيفة بمصر وصاحب العقيدة المشهورة، وهو الذى نشر بها المذهب وعمل على إذاعته. وفى المذهب المالكي: لمع اسم عبد السلام بن سعيد بن حبيب المشهور بسحنون (ت: 240هـ) وهو الذي نشر المذهب فى المغرب، وله (المدونة الكبرى) التى لا تزال ذائعة الصيت بين المالكية. وفى المذهب الشافعي: لمع اسم المزني إسماعيل بن يحي (ت: 264هـ) ناصر المذهب وبدر سمائه، وله (مختصر المزنى). معروف متداول. وفى المذهب الحنبلى: اشتهر اسم الخرقي أبو القاسم عمر بن الحسين بن عبد الله (ت: 334هـ) وله (المختصر) فى الفقه، مطبوع. وكان أشهر الأصوليين فى القرن الثالث الهجري: «الشافعي وابن حنبل من الأئمة المجتهدين، وبشر بن غياث المريسي (ت: 218هـ) زعيم الطائفة المريسية، وإبراهيم النظام (ت: 231هـ) رئيس الطائفة النظامية»، وكان هذا القرن «أكثر إنتاجا وتأليفا من سابقه لكثرة المناظرات بين رجال المذاهب وذلك يقتضى العناية بالتدريس والتأليف».

أما منطقة ما وراء النهر فقد حفلت بعلماء الفقه على المذاهب المختلفة، فبالإضافة إلى علماء الحنفية ومنهم الإمام الماتريدي ومشايخه، مثل: نصير بن يحيي البلخي (ت: 268ه)؛ فقد كان لعلماء المذاهب الأخرى وجود مما أثرى الحياة العلمية ببلاد ما وراء النهر وظهر فى تفسير الإمام الماتريدي بقوة. ومن هؤلاء: أبو على الحسين بن علي بن عبد الله السمرقندي روى عن داوود كتبه من فقهاء الظاهرية، وذكر الشيرازي أن المذهب انقرض ببغداد وبقي بشيراز. مما يعني حضور المذهب الظاهري فى تلك المنطقة. وممن جمع بين الفقه والحديث من أهل تلك البلاد: أبو حاتم محمد بن حبان التميمي السمرقندي (ت: 354ه)، وهو «ممن بلغوا مرتبة الاجتهاد، إمام كبير له تصانيف كثيرة فى الحديث والجرح والتعديل، ولى قضاء سمرقند ورحل إليه الناس لأخذ العلم عنه، وإليه مرجع كثير من المحدثين فى حكمه على رجال الحديث بالجرح والتعديل» (Ahmad Amin, 2006).

وأما علم الكلام والعقائد[١] فكان المعتزلة فى بداية العصر فى أوج ازدهارهم، حتى جاء المتوكل وحرم الكلام ونصر مذهب أهل السنة، فظهر أئمة السنة الثلاثة: أبو الحسن الاشعري فى العراق، وأبو منصور الماتريدي فى سمرقند، وأبو جعفر الطحاوي فى مصر، فجادلوا المعتزلة الذين كان من أظهر أئمتهم قبل هذا العصر: العلاف (ت: 235هـ) ثم الجاحظ (ت: 255هـ) والجبائيان أبو على محمد بن عبد الوهاب (ت: 303هـ) وابنه وتلميذه أبو هاشم عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب (ت: 123هـ) والأشعري تلميذ لأبي علي أيضا، لكنه ترك مذهب الاعتزال ونصر مذهب أهل السنة ومعه أئمة السنة، الذين تبع كل منهم تلاميذ حملوا لواء الدعوة من بعدهم حتى انمحت الفرق أو تكاد ولم يبق فاشيًا فى الأمة إلا مذهب الجماعة، اللهم إلا نتوءات بقيت هنا وهناك.

وفي منطقة ما وراء النهر خاصة ظهر الإمام أبي منصور الماتريدي وأصحابه، كما أن هذه المنطقة أخرجت اثنين من أكبر الشخصيات الكلامية فى تاريخ الإسلام هما: أبو زيد البلخي (ت: 322ه)[11]، وأبو القاسم الكعبي(ت: 329هـ)[12]. وكلاهما ذكره الماتريدي فى تفسيره، لاسيما

أنه كان داعية إلى الاعتزال. وعن جعفر المستغفري أنه قال: لا أستجيز الرواية عنه، وأنه دخل نسف فأكرموه إلا الحافظ عبد المؤمن بن خلف فإنه كان يكفره ولم يسلم عليه لما دخل البلد، فمضى الكعبي إليه فوجده في محرابه فسلم فلم يلتفت إليه، ففطن فحلف من بعيد بالله عليك أيها الشيخ أن لا تقوم ودعا قائما وانصرف دافعا للخجل عن نفسه. ومات في جمادى الآخرة.»أ.هـ.

[١١] () يقول الصفدي: « أحمد بن سهل البلخي أبو زيد كان فاضلا قيما بجميع العلوم القديمة والحديثة، يسلك في مصنفاته طريقة الفلاسفة إلا أنه بأهل الأدب أشبه، وكان معلما للصبيان ثم رفعه العلم وقد وصفه أبو حيان التوحيدي وقد ذكرت ذلك في ترجمة أبي حنيفة الدينوري»أ. هـ. | ينظر: الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت: ٧٦٤هـ)، ت: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، ٢٥١/٦، ٢٥٢، دار إحياء التراث – بيروت، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

[١٢] () قال الحافظ ابن حجر (لسان الميزان ٤٢٩/٤ ت: أبو غدة): «عبد الله بن أحمد بن محمود البلخي أبو القاسم الكعبي. من كبار المعتزلة وله تصنيف في الطعن على المحدثين يدل على كثرة اطلاعه وتعصبه.وتوفي سنة ٣١٩هـ. وذكر المصنف في تاريخ الإسلام

خوانق بفرغانة والختل وجوزجانان وبمرو الروذخانقه وأخرى بسمرقند، وبرساتيق هيطل أقوام يقال لهم بيض الثياب مذاهبهم تقارب الزندقة، وأقوام على مذهب عبد الله السرخسي لهم زهد وتقرب، وأكثر أهل ترمذ جهمية، وأهل الرقة شيعة، وأهل كندر قدرية، والشار يصلي العيدين على قول عبد الله بن مسعود ومذهب أبي حنيفة يوالون بين القراءتين ويكبرون أربعًا». وقد انشغل السامانيون بحركات الخوارج والشيعة، يقول بارتولد: «أما الثورات الشعبية التى شغلت الطاهريين فكان أخطرها اثنتين هما: حركة الخوارج بسجستان، وحركة الشيعة بطبرستان، وكلا الحركتين ظلت مستمرة إلى عهد السامانيين أيضًا» (فاسيلى بارتولد، 1891).

سادسا: النزعة الفارسية:

لما دخل الإسلام بلاد ما حول الجزيرة العربية كمصر وفارس وما ورائهما اختفت لغات هذه الأمم مع قبول أهلها للإسلام تدريجيا؛ «لهذا اختفت القبطية واليونانية من مصر حيث كانت القبطية لغة التخاطب واليونانية لغة الأدب والشؤون الرسمية، وتوارت البربرية من شمال أفريقية وانكمشت الفارسية فى العراق وفارس وانزوت اللهجة النوبية من بلاد النوبة، ثم بعد حين توارت اللهجة السودانية والكوشتية من السودان، ولم تظهر واحدة من هذه بعد اختفائها ما عدا الفارسية التى استطاعت أن تسترد حياتها فى فارس منذ القرن الرابع للهجرة». و«كان نهر جيحون هو بعض الحدود الفاصلة بين الشعوب التى تتكلم الفارسية والشعوب التى تتكلم التركية» (Shukri Faysal, 1974) ، ويشير بارتولد إلى خضوع المنطقة فى معظم الوقت لسيادة القبائل التركية. ومنذ دخول الإسلام «ظلت اللغة العربية على وجه التقريب هى اللغة الأدبية الوحيدة فى العالم الإسلامي بأجمعه على مدى القرون الثلاثة الأولى للهجرة، ولكن منذ بدايات القرن الرابع الهجري أصبحت الفارسية شيئا فشيئا لغة الأدب فى القسم الشرقي من العالم الإسلامي»، خاصة فى عهد «السامانيين الذين عملوا على إحياء اللغة الفارسية الحديثة التى تجمع بين المؤثرات العربية والمؤثرات الفارسية، وبدأت هذه اللغة فى عهدهم تصبح لغة الفكر والثقافة»، وقد ظهر ذلك فى تفسير الماتريدي من خلال احتوائه على عبارات فارسية يقرب بها العبارات العربية التي قد تصعب على البعض. فالسامانيون وبالتحديد فى عصر نصر بن أحمد الساماني (103-133هـ)[13] «هم الذين أحيو الثقافة الفارسية، وفى عهدهم بدأت الكتابة باللغة الفارسية عن الأدب والشعر والتأليف إلى جانب العربية، وبدأ كثير من الكتب العربية يترجم إلى الفارسية مثل كتاب الطبري (تاريخ الأمم والملوك)، وقد بدأ الروح الفارسي يظهر فى الأدب من ذلك الوقت، وحفل بلاط السامانيين بكثير من الشعراء الذين نظموا شعرهم بالعربية والفارسية واشتهر فى ذلك العصر كثير من الشعراء من أمثال عمر الخيام، صاحب الرباعيات، والشيخ الرئيس ابن سينا وقد نظم كثيرا من القصائد بالفارسية»، ومن مظاهر ذلك أيضا أن «الخطبة بالمسجد كان يلقيها فى البداية الخليفة نفسه أو واليه، أما فى عهد السامانيين فقد أبطلت هذه العادة بالمشرق لأن الأمراء وولاتهم كانوا فى الأصل من الفرس أو الترك وقل أن وجد بينهم من يجيد العربية» (Vasili Bartold, 1981). ويقال - من جهة أخرى- إن السامانيين والطاهريين لم يكونوا متعصبين فى نشر لغتهم الفارسية بل إنه «بسبب أصلهم الأرستقراطي وبوصفهم ممثلين رسميين للسيادة العربية بالمنطقة فإنه لم يكن بوسعهم أن يظهروا بمظهر المنتصرين للاتجاهات القومية والشعوبية»، حتى إنه فى عهد إسماعيل بن أحمد الذى عرف بتقواه الشديدة قد جعل اللغة العربية مرة أخرى هى اللغة المعتمدة لرسائل الدولة الرسمية وإن كان ذلك لم يستمر طويلًا؛ ذلك لأن الروح القومية الفارسية قد استيقظت، إلى أن تحول لسان تلك المنطقة تماما من العربية إلى الفارسية بدأ من الأسر الحاكمة بعد السامانيين التي تمتعت بسند شعبي أكثر من السامانيين؛ وذلك

913هـ)، وهو معدود فى الطبقة الثامنة، «وهو رئيس نبيل غزير العلم بالكلام والفقه وعلم الأدب، واسع المعرفة فى مذاهب الناس. وله كتاب فى التفسير»(أحمد بن يحي المرتضى، ٧٨٩١)، رد عليه الماتريدي فى كتبه وألف فى الرد عليه مصنفات. ومنهم: العياشي، وهو «أبو النضر محمد بن مسعود بن محمد بن عياش السلمي السمرقندي، وفى (روضات الجنات) للخوانساري العراقي الموفي، كان شيخا للكشى، وكان إماما لطائفة الإمامية فى خراسان..نقحه إبراهيم بن على القمي، ويتكون فى الغالب من روايات لمحمد الباقر وأبي عبد الله جعفر الصادق».

رابعا: موقع العلم والعلماء فى الحياة:

قال فى أحسن التقاسيم: «إقليم المشرق هو أجل الأقاليم وأكثرها أجلة وعلماء، ومعدن الخير ومستقر العلم، وركن الاسلام المحكم وحصنه الأعظم... دينا مستقيما وعدلا مقيما في دولة أبدا منصورة مؤيدة، ومملكة جعلها الله عليهم مؤبدة، فيه يبلغ الفقهاء درجات الملوك ويملك في غيره من كان فيه مملوك» ثم قال متحدثا عن كور هيطل «اعلم أن هذا الجانب أخصب بلاد الله تعالى وأكثرها خيرا وفقها وعمارة ورغبة في العلم واستقامة في الدين، وأشد بأسا وأغلظ رقابا وأدوم جهادا وأسلم صدورا وأرغب في الجماعات، مع يسار وعفة ومعروف وضيافة وتعظيم لمن يفهم، وعلى الجملة: الإسلام به طري والسلطان قوي والعدل ظاهر والفقيه ماهر والغني سالم والمحترف عالم والفقير غانم قلما يقحطون، منابره أكثر من أن توصف، ونواحيه أوسع من أن تنعت» (Abdulloh Maqdisi, 1991). ومما يدل على شدة تقدير العلماء ما ذكره أيضا فقال متحدثا عن رسوم الأمراء فى الدولة السامانية: «ومن رسومهم أنهم لا يكلفون أهل العلم تقبيل الأرض، ولهم مجالس عشيات جمع شهر رمضان للمناظرة بين يدي السلطان، فيبدأ هو فيسأل مسأله ثم يتكلمون عليها وميلهم إلى مذهب أبي حنيفة، وليس من رسمهم الانبساط إلى الرعية، وإنما الوزير الذي يمشي الأمور... ويختارون أبدًا أفقه من ببخارا وأعفهم فيرفعونه ويصدرون عن رأيه ويقضون حوائجه ويولون الأعمال بقوله». ومن مظاهر ذلك التقدير للعلماء واحترامهم ما ذكره السمعاني من صلاة الأمير على أحد المُذَكِّرين (Abu Saad Samoni, 1988)، بل حمل الوزير تابوت أحد العلماء. وبصفة عامة فقد «تمتع رجال الدين بمكانة خاصة، كما أن مؤسس الدولة نفسها ثبت سلطانه ببخارى مستعينا بنفوذ رجال الدين هناك، وكان العلماء لا يكلفون بتقبيل الأرض بين يدي الأمير، وكان يختار من بين فقهاء الحنفية ببخارى أكثرهم علما وأرفعهم مكانة فكانت الأمور تصدر عن رأيه وتقضى حوائجه، ويعين العمال وفقا لمشورته، ويستدل من ألفاظ السمعاني على أن هذا الشخص الذى يعادل المفتى أو شيخ الإسلام فى الأزمنة المتأخرة كان آنذاك يحمل اللقب الفارسي (أستاذ) أى المعلم وأن منصب (الأستاذ) قد وجد منذ عهد إسماعيل».

خامسا: المذاهب والأديان.

يلاحظ بارتولد أن سكان مقاطعات أعلى النهر كانوا يدينون بالوثنية حتى القرن العاشر الميلادي (الرابع الهجري) بالرغم من خضوعهم سياسيا لسلطان المسلمين (Vasili Bartold, 1981). ويوجز المقدسي مذاهب وأديان إقليم المشرق، فيقول: «وهو أكثر الأقاليم علما وفقها وللمذكرين به صيت عجيب، ولهم أموال جمة وبه يهود كثيرة، ونصارى قليلة، وأصناف المجوس.. وأولاد على رضي الله عنه فيه على غاية الرفعة، ولا ترى به هاشميا إلا غريبا، ومذاهبهم مستقيمة غير أن الخوارج بسجستان ونواحي هراة كروخ واستربيان كثيرة، وللمعتزلة بنيسابور ظهور بلا غلبة، وللشيعة والكرامية بها جلبة، والغلبة في الإقليم لأصحاب أبي حنيفة إلا في كورة الشاش وايلاق وطوس ونسا وابيورد وطراز وصنغاج وسواد بخارا وسنج والدندانقان واسفراين وجويان فإنهم شفعوية كلهم، والعمل في هذه المواضع على مذاهبهم ولهم جلبة بهراة وسجستان وسرخس والمروين ولا يكون قاضيا إلا من الفريقين، وخطباء المواضع التي استثنينا ونيسابور أيضا شفعوية وأحد جامعي مرو أيضا، إلا أن الإقامة به وبنيسابور مثنى، وللكرامية جلبة بهراة وغرج الشار ولهم

[13] () يذكر المؤرخون أن هذا الرجل قد اعتنق المذهب الشيعي السبعي الإسماعيلي، وأن اعتناقه لهذا المذهب بالإضافة إلى عوامل أخرى كانت سببا فى خلعه من منصبه وغضب العلماء عليه مما أكده الكاتب الإسماعيلي المعاصر عارف تامر، ثم هو هنا الذى بدأ حركة إعادة الروح الفارسية عن طريق اللغة والعمل على مزاحمتها للغة العربية!

والفلاسفة، كما وجدت المذاهب العقدية والفقهية على حد سواء، مما ساهم في دفع الحركة العلمية.

من أهم المظاهر العلمية في تلك الحقبة منازعة الفارسية للعربية، نتيجة ميل السامانيين لإحياء اللغة والثقافة الفارسية، ونستطيع القول إن تراجع العربية بعد أن كانت لغة العلم والأدب في هذه المنطقة لعقود طويلة بدأ من هذه الحقبة.

من مظاهر الحياة العلمية وجود التصوف، وما ارتبط به من أمور كالمشاهد والمزارات، وكان التصوف كما هو شأنه دائما موضع تقدير من العلماء ولم ينظر إليه على أنه شيء دخيل على الإسلام.

مصادر البحث:

أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، أبو عبد الله المقدسي (ت 380 تقريبا)، مكتبة مدبولي- القاهرة، ط3، 1991م.

الأنساب، عبد الكريم بن محمد السمعاني(ت562هـ)، تعليق عبد الله عمر البارودي، مركز الخدمات والابحاث الثقافية، دار الجنان، ط1، سنة 1988م.

البداية والنهاية، ت: عبد الرحمن اللادقي، ط دار المعرفة، بيروت، ط8، سنة 2008م.

تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، تعريب عبد الحليم النجار، ط5، دار المعارف، القاهرة

تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، الدكتور: حسن إبراهيم حسن، دار الجيل بيروت، ومكتبة النهضة المصرية بالقاهرة، ط 31، 1411هـ، 1991م.

تاريخ التراث العربي، فؤاد سزكين، تعريب محمود فهمي حجازى، إدارة الثقافة والنشر بجامعة محمد بن سعود الإسلامية، سنة 1991م.

تاريخ الدولة العباسية، محمد سهيل طقوش، دار النفائس، ط7، سنة 2009م.

تاريخ طبرستان، بهاء الدين محمد بن حسن اسفنديار، ترجمة وتقديم أحمد محمد نادي، ط. المجلس الأعلى للثقافة، ط1، سنة 2002م

تبيين كذب المفترى فيما نسب إلى الإمام الأشعري، أبو محمد، ابن عساكر (ت 600 هـ)، تحقيق الشيخ محمد زاهد الكوثري، ط مكتبة الكليات الأزهرية.

التحفة اللطيفة فى تاريخ المدينة الشريفة، شمس الدين السخاوي (ت902هـ)، دار الكتب العلميه، بيروت، ط1، 1414هـ/1993م.

تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولى، فاسيلى بارتولد، تعريب: صلاح الدين هاشم، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط1، سنة 1981م

تهذيب الكمال في أسماء الرجال، يوسف بن عبد الرحمن، جمال الدين المزي (ت247هـ)، ت: د. بشار معروف، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط1، 1980م.

تيارات ثقافية بين العرب والفرس، أحمد محمد الحوفي، دار نهضة مصر، ط3، د ت.

الثقات، محمد بن حبان، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت: 453هـ)، طبع وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية، إشراف الدكتور محمد عبد المعيد خان، مدير دائرة المعارف العثمانية، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، ط1، 1393 هـ = 1973.

الثقات، محمد بن حبان، الدارمي، البُستي (ت 354ه)، طبع وزارة المعارف للحكومة الهندية، إشراف عبد المعيد خان، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد، ط1، 1973م

الجغرافيا الحضارية فى المشرق الإسلامي، عبد العزيز عبد الرحمن آل سعد، الدار العربية للعلوم، ط1، سنة 2011م.

حركة الفتح الإسلامي فى القرن الأول، شكري فيصل، دار العلم للملايين، ط3، 1994م.

لأنهم اجتهدوا في إرضاء الروح القومية الإيرانية، والدليل على ذلك أن مؤسس دولة الزياريين (مرداويج) كان يحلم بإعادة عرش الساسانيين، وأن البويهيين طبعوا نقودا نقش عليها اللقب الفارسي القديم: شاهنشاه، أى ملك الملوك (Vasili Bartold, 1981).

سابعا: مشاهد ومزارات:

من مظاهر الحياة الفكرية أيضا ما يلاحظ من وجود مشاهد ومزارات فى تلك النواحي حيث «ظهر التصوف فى هذه البلاد.. فكان أولهم فى هذا الإقليم شقيق البلخي (ت153هـ) قيل إنه أول من تكلم فى علم الأحوال بخراسان..ثم تتابع المتصوفة بعده في هذه البلاد كأبي حفص عمرو بن سالم الحداد النيسابوري المتوفي سنه 270هـ، وأبو تراب النخشبي من متصوفة خراسان المشهورين بالعلم والفتوة والزهد، وأبو على الجوزجاني له التصانيف فى الرياضة النفسية والمجاهدات والمعارف، وأبو بكر محمد بن عمر الحكيم الوراق أصله من ترمذ وأقام ببلخ، وأبو عبد الله محمد بن منازل النيسابوري شيخ طريقة الملامتية مات بنيسابور سنة 392هـ، وأبو العباس بن القاسم من أهل مرو، وهو أول من تلكم عندهم فى حقائق الأحوال، مات سنة 342هـ».

وكان لدى الإمام الماتريدي نزعة صوفية. وذكر السخاوي فى ترجمة أحمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد، الجلال أبو الطاهر بن الشمس ابن الجلال بن الجمال الخجندي، أنه «ارتحل منها (أي بلدته خجند)، وهو ابن اثنتين وعشرين سنة (ولد 719هـ)، في سحر خامس عشر رمضان سنة إحدى وأربعين إلى سمرقند ... وزار من بها من السادات، كقثم بن العباس، وأبي منصور الماتريدي» (شمس الدين السخاوي، 1993) . ويلاحظ بارتولد ذلك أيضا فيقول: «وقثم معروف للأهالي الآن باسم شاه زندة (الأمير الحي) ومنذ عهد بابر حمل القبر اسم مزار شاه (قبر الأمير).. ومنذ القرن الثاني عشر (الميلادي) إلى يومنا هذا كان ذوو المكانة من الناس يدفنون حول قبر قثم، بل وقامت هناك مدرسة عرفت باسمه».

الخلاصة ونتائج البحث:

تمتعت الدولة السامانية بقدر كبير من الاستقرار نتيجة العلاقات القوية مع الخليفة العباسي، ومما أتاح للحركة العلمية النمو والازدهار، وقد كان لهم نوع استقلال عن الخلافة أتاح لهم التصرف بحرية فوسعوا ملكهم وشجعوا العلم والعلماء فازدهرت الحياة العلمية.

دخل الإسلام بلاد ما وراء النهر مبكرا، أواخر القرن الأول، ودخل مع الفتح الإسلامي بعض الصحابة والتابعين الذين نشروا علوم الإسلام وكانوا من المعلمون الأوائل لأهل هذه البلاد.

كانت بخارى وسمرقند أهم مراكز العلم في تلك الحقبة، وقد عرف أهلهما بشدة إكرام العلماء، وتقدير العلم، مما أتاح حركة علمية متميزة.

كانت فترة حكم السامانيين فترة مهمة في تطور العلوم الإسلامية، وقد ساهمت بلاد ما وراء النهر في عهد السامانيين في هذه الحركة العلمية بقوة، فخرج منها في علوم الحديث كبار المحدثين في تلك الحقبة، كالبخاري والترمذي.

شهدت منطقة ما وراء النهر في تلك الحقبة تنوعا ثقافيا وعلميا حفز العلماء على الحركة، ففي الفقه وجد اهل الرأي وأهل الأثر وفقهاء المحدثين والظاهرية، وفي العقيدة وجد المعتزلة والمجسمة والباطنية وأهل السنة الذين تغلبوا على كل هؤلاء بالحجة والبرهان، وفي التفسير وعلوم القرآن كتبت تلك الفرق تفاسير للقرآن بحيث يكون النص القرآني ناطقا بمذاهبهم، مما اضطر علماء أهل السنة للرد عليهم، فوجدنا هذا السجال في أمثال تفسير الإمام الماتريدي حاضرا بوضوح.

تميزت تلك النواحي بشدة احترام العلماء من قبل العامة، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل كانوا موضع إجلال وتقدير من قبل الأمراء كذلك مما ساهم في الحركة العلمية.

شمل التنوع الديني والمذهبي في تلك الحقبة غالب أديان العالم ومذاهبه في تلك الفترة، فوجدنا أهل الكتاب والثنوية بفرقهم والزنادقة

الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجري (عصر النهضة فى الإسلام)، آدم متز، تعريب: محمد عبد الهادي أبو ريدة، دار الكتاب اللبناني، ط5، دون تاريخ.
الخلافة العباسية، محمد الهاشمي، دار ابن حزم، ط2، 2006م.
طبقات الأمم، أبو القاسم صاعد بن أحمد بن صاعد (ت462هـ)، بعناية الأب لويس شيخو، المطبعة الكاثوليكية، بيروت،1912م.
طبقات الفقهاء، أبي إسحاق الشيرازي الشافعي (ت476هـ)، دار الرائد العربي، بيروت.
الطبقات الكبرى، ابن سعد (ت 230ه)، 117/5، ت: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1410هـ - 1990م.
طبقات المعتزلة، أحمد بن يحي المرتضى (ت 840هـ)، ت: سوسته ديفلد فلزر، ط2، 1987، بيروت لبنان.
طبقات المفسرين، أحمد الأدنه وي، ت: سليمان الخزي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة، ط1، 1997م.
طبقات المفسرين، جلال الدين السيوطي (ت 911هـ)، ت: علي محمد عمر، ط1، 1396ه، مكتبة وهبة - القاهرة.
ظهر الإسلام، أحمد أمين، المكتبة العصرية، ط1، 2006م.
العرب والإسلام فى أوزباكستان، بوريبوي أحمدوف، وزاهد الله منوروف، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ط2، 1999م.
الفتح المبين في طبقات الأصوليين، عبدالله مصطفى المراغي، نشره محمد على عثمان، سنة 1974م.
القند، نجم الدين عمر النسفي (ت537)، تحقيق: نظر محمد الفاريابي، مكتبة الكوثر، السعودية، ط1، 1991م.
لسان الميزان، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: دائرة المعرف النظامية بالهند، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت ط3، 1986م.
مشاهير علماء الأمصار، محمد بن حبان، الدارمي، البُستي (ت 354ه)، ت: مرزوق على ابراهيم، دار الوفاء– المنصورة، ط1، 1411هـ - 1991م.
الوافي بالوفيات، صلاح الدين الصفدي (ت: 764هـ)، ت: أحمد الأرناؤوط، دار إحياء التراث – بيروت، 2000م.

REFERENCES

1. Abdulaziz Abdurrahman Al Saud. (1974). Al-jughrafi al-hadhariyya fil mashriq al-islami.
2. Abdulhalim Najjar. (Year of publication is unknown). Tarix al-adab al-arabi. Cairo: Darul Maarif.
3. Abdulkarim ibn Muhammad Sam'ani. (1988). Al-Ansab. Cairo: Dar al-Jenan.
4. Abdullah Mustafa Maraghi. (1974). Al-Fath al-Mubin fi Tabaqat al-Usuliyyin. Muhammad Ali Uthman Printing house.
5. Abu Abdullah Maqdisi. (Year of publication is unknown). Ahsan at-Taqasim fi Ma'rifat al-Aqalim. Cairo: Daru Madbuli.
6. Abu Is'haq Shirazi. (Year of publication is unknown). Tabaqat al-Fuqaha. Beirut: Dar ar-Raid al-Arabi.
7. Abu Muhammad ibn Asakir. (Year of publication is unknown). Tabyinu Kazib al-Muftara. Cairo: Maktaba al-kulliyya al- Azhariyya.
8. Abul Qasim Said Andalusi. (1912). Tabaqat al-Umam. (Beirut: Al-Matbaa al-Kasulujiyyah.
9. Adam Metz. (Year of publication is unknown). Al-Hadhara al-Islamiyya fil Qarn ar-Rabi'i. Lebanon: Dar al-Kitab al-Lubnani.
10. Ahmad Adnawi. (1997). Tabaqat al-Mufassirin. Madinah: Maktaba al-Ulum wal-Hikam.
11. Ahmad Amin. (2006). Zahr al-Islam. Beirut: al-Maktaba al-Asriyya.
12. Ahmad ibn Yahya Murtaza. (1987). Tabaqat al-Mu'tazila. Beirut.
13. Ahmad Muhammad Hafawi. (Year of publication is unknown). Tayyara Saqafiyya baynal-Arabi wal-Fars. Egypt: Daru Nahda.
14. Bahauddin Muhammad ibn Hasan Isfandiyar. (2002). Tarixu Tabaristan. Majlis al-A'la lis-Saqafa.
15. Boriboy Ahmedov; Zahidulloh Munavvarov. (1999). Al-Arab wal-Islam fi Uzbakistan. Beirut: Shirkat al-Matbua lit-tawzi' wan-nashr.
16. Hasan Ibrahim Hasan. (1991). Tarix al-Islam. Cairo: Maktaba an-Nahda.
17. Ibn Hajar Asqalani. (1986). Lisanul Mizan. Beirut: Muassasatul A'lami.
18. Ibn Kasir. (2008). Al-bidaya wan-Nihaya. Beirut: Darul Ma'rifa.
19. Ibn Sa'd. (1990). At-Tabaqatul kubra. Beirut: Darul kitab al-ilmiyya.
20. Jalaluddin Suyuti. (h.1396). Tabaqatul mufassirin. Cairo: Maktabatu Wahba.
21. Muhammad Hashimi. (2006). Al-Khilafa al-Abbasiya. Beirut: Daru Ibn Hazm.
22. Muhammad ibn Hibban Darimi. (1973). As-siqot. Ishraf Abdul Muiydxon. Haydarabad: Daira al-Maarif al-Usmaniyya.
23. Muhammad ibn Hibban Darimi. (1991). Mashahir ulama al-amsar. Mansura: Darul Wafa.
24. Muhammad ibn Hibban Darimi. (1973). As-Thiqat. India: Wizaratul Maarif.
25. Muhammad Suhayl Taqqush. (2009). Tarix ad-dawlatil Abbasiyya.. Darun Nafais.
26. Najmuddin Umar Nasafi. (1991). Al-Qand. Saudia: Maktabatul kawsar.
27. Shamsuddin Sahawi. (h.1414). At-Tuhfa al-latifa fi tarix al-Madina ash-sharifa. Beirut: Darul kutub al-ilmiyya.
28. Shukri Faysal. (1974). Harakat al-fathil islami fil qarnil awwal. Darul ilm lilmalayin.
29. Salahuddin Safadi. (2000). Al-Wafi bil Wafayat. Beirut: Daru ihya at-turath.
30. Fuad Sezgin. (1991). Tarix at-turath al-arabi. Saudia: Idara as-Saqafa.
31. Wasili Bartold. Turkistan minal-fath al-arabi ilal-ghazwil mughuli. (1981). Tr. Salahuddin Hashim. Kuwait: Majlis as-Saqafa.
32. Yusuf ibn Abdurrahman Jamaluddin. (1980). Tahzib al-Kamal fi asma ar-Rijal. Beirut: Muassasa ar-Risala.